المريض والعاجز ليظلّ على المجتمع أن يؤاسيهما بعذوبة الرحمة الجميلة في مكانها كما انهُ يدرك وجوب تأدية المجهود الجميل في مكانهِ

أما وأنا من أنصار هذا المذهب الحيوي الذي لا قائمة لفردٍ أو لمجتمع او لشعب بدون التمشي عليه ؛ فيتيسر لك إذن ان تعلم كم أنا أقدر منك المجهود والعصامية ، وكم أتمنى لك المزيد من التوفيق في عملك — ذلك التوفيق الذي هو حقٌ مشروع لكل عامل ذكي مجاهد في سبيل الحياة

يسرني كل السرور ان أسمع ما تحدثني به عن نجاح «الاخاء» وكيف لا يؤيد هذه المجلة اخواننا — لا سيما أهل فلسطين — وهي مجلتهم ؟

واختم بخالص الشكر والسلام

«مي»

رماد الزوج

او حديث ذو شجون

رواية لهذا العصر

قبل الشروع في الرواية نقول كلمة عن الخمرة.

الخمرة تجعل الانسان صادقاً في القول ، صريحاً في التعبير ، مخلصاً في الرأي ، كما تجعله أنيس المعشر ، لطيف المحضر ، خفيف الروح . الخمرة تصنع عجائب مدهشة اذ تجعل المعيّ لسناً ، والالكن فصيحاً ، والخشن القاسي لطيفاً ظريفاً خفيفاً الخ . . . . . ولذا ترى جماعة الشاربين كعبة الشطرنج التي تتولد فيها وقائع مختلفة وتخيلات متباينة . . . . ومع كل هذا لا بد من التصريح الصريح بأنه يجب اتخاذ الحذر الشديد لدى شرب الخمرة فانها كجميع الخيرات التي أغدقتها علينا السماء اذا اسأنا استعمالها تقودنا الى الموت السريع ، ولكل شيء حد محدود اذا

تجاوزه الانسان لا يسلم من المعاطب. وجماعة الشاربين اذا تجاوزوا الحدود يتحولون الى اوركستر مختلف الآلات الموسيقية وكل آلة تصدح بنغمة خاصة أو أنهم يشبهون اليهود الذين بعد ان اجتازوا البحر الاحمر دخلوا تيهاً لا أول له ولا آخر

وعليه فقد جلسنا ذات يوم في حانة مزوية تسمى «عين الطاوس» وأخذنا نحتسي كؤوس الراح ونتحدث بأحاديث مختلفة فلم نترك موضوعا الا طرقناه، وكان الحديث يزداد واللغط يشتد بعد كل زجاجة تفرغها في أجوافنا وتصعد سورة خمرتها الى رؤوسنا. وكان صاحب الحانة كلما قامت ضجة في زاوية من زوايا حانته يسلم أصحابها جوازات سفر خارجية ومن فضل الله أنه لم يتجاوز أحد من جماعتنا الحدود غير أن البعض منا بلغوا خط الحدود فقط

ولم يكن بيننا نساء ولذلك فان معظم حديثنا كان عن النساء، والحب، والسعادة، والزواج السعيد والتعس وعن حوادث الانتحار في هذا المضمار وعن الموت. لأنه كما لا يخفى اذا كان الحديث عن الحب فلا بد من الحديث عن الموت

فقال أحدنا: ان الحب والموت صنوان او فرسا رهان وقد صوّر ذلك احد مهرة المصورين الذي رسم غادة هيفاء مادة ذراعيها لاجتذاب الناس ورسم من خلفها ظل الموت يهدد الواقعين في شراكها

فاعترضه آخر وقال: يالها من سخافة وفظاعة!! ان المرأة رمز الحياة وينبوع النسل فلا شأن لها بالموت والهلاك وذلك ينقض نظرية صاحبك المصور الاحمق الغبي

وكان بيننا شاب بلغ الحدود النهائية فلما سمع حديث المرأة والموت رفع عقيرته وغنى الاغنية الروسية التي مطلعها «الرجل بلا مرأة كالآلة بلا بخار»

فقهقه الحاضرون وقال احدهم وعلامات الغضب بادية على وجهه:

فليغن هذه الاغنية مادام عزبا ولكنه اذا تزوج فانه يغني عكس ذلك وينشد الاغنية المشهورة: الرجل أزال المرأة آلة متحركة عاملة. او هو حيوان مسيّر

لا مخير . فغضب احد المتزوجين وقال : لا راحة ولا سعادة للرجل اذا لم يكن له كوخ يأوي اليه مع شريكة تشاطره افراح الحياة وأتراحها . . وما العزب الا شريداً طريداً فريداً لا يستقر على حال من القلق . ولا ريب فان بينكم من تزوج واظنكم توافقون على هذه النظرية بشأن الزواج

فملأ الشاب كأسه وشربها وقال وهو يترنح ذات اليمين وذات الشمال

كنت أتمنى أيها السادة أن تكون جميع الأوانس والعقائل الحسان ذوات شفتين فقط حتى استطيع تقبيلهن دفعة واحدة وأتزوج منهن جميعاً ثم أردف كلامه بقوله اني كلما رأيت عروسين في الكنيسة يتردد في بالي خاطر وهو أن أدفع العريس وأقف مكانه واذا رأيت في الطريق حفلة عرس أتمنى ان أكون في مجلس الحوذي لأقود عربة العروس الى منزلي فقهقه السامعون وأجابه واحد منهم : اطمئن يا أخي اطمئن يا أخي أنك ستتزوج وتحظى بالغبطة والسعادة

وقال له ثان ولكني أنصحك أيها الشاب نصيحة خبير مجرب أن لا تتزوج من أرملة

فأجابه الشاب : واذا كانت جميلة جداً ووقعت في شراك حبها وأصبحت شغلي الشاغل .

— اهجرها وتخلص منها بكل الوسائل !

— واذا كنت لا أستطيع العيش بدونها ؟

وقد تصور الشاب انه بالحقيقة يحب ارملة وقد عزم على الزواج بها وانه لا بد له من ذلك

فهز مخاطبه رأسه والحزن باد على محياه وقال للشاب

— توقف عن هذا الأمر . واهجرها . واتركها وتناس حبها ذلك خير لك وأولى

— تباً لها من نصيحة ! اني أتكلم عن عـ ـ ـ ـ شق ـ حقيقي متقد وراسخة في نفسي وعن حبيبة تيمني هواها ولم تحاول أن تبعدني عن نيل السعادة

— فليكن كما تريد ولكن أنصحك قبل أن تتزوج ارملتك اسألها اذا كانت من عابدات النار أم لا؟

— ما ـ ما ـ ماذا تقول ؟ ما هذه السخافات ؟

— لا تقل سخافات فانهم في هذه الايام أصبحوا في كل مكان يحرقون جثث الموتى في أفران خاصة . فاذا كانت أرملتك على هذه العقيدة فخذ قبعتك واركن الى الفرار دون أن تلتفت الى الوراء

— فليدفنونا كما يشاءون بعد أن نموت اذ لا شعور لنا ولاحواس واني اعتقد انه خير للانسان أن يتحلل حالا بعد موته الى عناصره الاصلية فاذا أحرق الجسم فان جزءا منه يطير الى السماء ويرتفع فوق السحاب وجزءا منه بهيئة الحامض الكربونيك يقع على الازهار والنباتات وذلك خير من أن تأكل الجسم الديدان

— أنك لم تفقه مغزى كلامي فاني لم أفكر مطلقا بالحياة بعد الموت بل بالحياة على الأرض فاذا كانت الارملة من عابدات النار فلا ريب انه يوجد لديها حق تحفظ فيه رماد جثة زوجها

وهنا قامت ضجة بين الشاربين ولكن المحدث استطرد كلامه وقال يااخوان الصفاء أنا كنت متزوجا أرملة من هذا القبيل فاعيروني سمعكم لأروي لكم ماجرى لي معها

فصاحوا بصوت واحد كلنا آذان مصغية وصاح آخر وقال لصاحب الخانة ايها العم فانيوشا هات زجاجة أخرى وسرعان ما لبى الطلب وسرعان ما ملئت الكؤوس ورفعت الى الافواه ثم وضعت على المائدة فارغة

فقال المحدث

كنت كهذا الشاب مغرما بالنساء ولبثت زمنا طويلا أتنقل من خليلة الى خليلة ولي في مضمار الهوى حوادث وروايات غريبة مدهشة وأخيرا أحببت ارملة هيفاء وحديثة السن صحيحة الجسم جميلة ذات عينين نجلاوين وطرف كحيل وقد اسيل فوق كل هذا كانت ذات ثروة واسعة . الحق الحق اقول لكم انها ارملة. فتانة

خلابة كوى غرامها فؤادي بل لهبه كشعلة النار التي هب عليها الهواء . وما عتمت حتى تزوجتها ونقلتني الى قصر لها في احدى الضواحي وياله من قصر منيف كأنه بني خاصه لتمثيل أدوار الغرام : تحدق به حديقة غناء وارفة الظلال في وسطها غدير صافي الماء وخمائل عديدة مع سكون وهدوء ووحدة وبالجملة فهو فردوس ارضي فكنا نمرح معا في بحابح السعادة وقد غرقنا في الحب حتى انا كنا نتصور ان الطيور والازهار والفراش تحسدنا على ما نحن فيه من غبطة وسعادة . ولا عجب فان المحبين يعتقدون ان حبهم وحيد خالد لا مثيل له بين الناس

وكانت تقول لي بعد القبلات العديدة : اني سأحبك الى الابد وسأحفظ حبك في قلبي حتى بعد الموت . ثم تضع رأسها على كتفي وتهمس في أذني . اذا مت قبلك فاحرق جسمي في الفرن واحفظ رماده في حق واذا مت قبلي أفعل كذلك بجسمك وعليه فاننا لا نفترق الى الأبد

والحق يقال فانها ما اكثرت لهذه النظرية لأني ما كنت افكر برماد حبيبتي بل كانت افكاري موجهة الى شفتيها القرمزيتين وصدرها البلوري وعينيها اللتين يشع منهما نور السعادة

وفي احدى الليالي بينما كنا نجول كآدم وحواء في فردوسنا وقفت فجأة في فناء المنزل امام باب ما كنت لحظته من قبل وفتحته وقادتني الى غرفة موشحة بالسواد أو الى غرفة حداد رأيت في زاوية منها عمودا قصيرا من المرمر الاسود وفوقه لوحة ذات رفوف مربعة لوضع الحقوق ورأيت حقا ممتازا أحيط بالازهار وأمامه مصباح احمر منار فدهشت من هذا المنظر واضطربت فدنت مني ووضعت رأسها على صدري وبكت بكاء مراً وقالت بصوت متهدج : ايها العزيز اذا مت فضع رماد جسمي في هذا الحق . فقلت لها لا تبكي ياعزيزتي وقبلتها ثم سألتها وما هذا الحق المحاط بالازهار ؟ فقالت فيه رماد جسم زوجي السابق ثم جذبتني وقالت فلنخرج من هنا لاني أشعر بدوار شديد

وبعد ذلك رأيت زوجتي تكثر من الصلاة والصوم والبكاء وتكثر من دخول غرفة الحداد حاملة اليها باقات الورد فشعرت عند ذاك اننا لسنا في القصر بل يوجد معنا ثالث فأخذت الغيرة تتسرب الى فؤادي وفي ذات ليلة اردت ان اختبر حبها فبحثت عنها فلم اجدها ولكني لما حاذيت غرفة الحداد سمعتها تبكي وتنوح فيها فتشنجت اعصابي وهممت بالدخول الى الغرفة وتحطيم ذلك الحق غير اني ضبطت نفسي رغما كما كنت اشعر به من الحقد والضغينة .

وحدث اني تهيجت ذات يوم وقلت لها وهي خارجة من غرفة الحداد اذهبي عني وامض الى رماد زوجك !! فامتقع لون وجهها وقالت بغضب : كيف تجسر على مفاجأتي بهذا الكلام القاسي وتهزأ بي : انك خشن أحمق ! وحدث بيننا نزاع شديد لكننا ما عتمنا حتى تصافينا وتشاكينا وبكينا وحاول كل واحد أن يظهر للآخر شدة الغرام والوجد والهيام . وقالت أتصدق الآن اني احبك وحدك فأجبتها لاريب في ذلك . قلت ذلك عن عقيدة لأني شعرت بأن اوتار نفسينا تضرب على نغمة واحدة . ولكنني مع ذلك اصبحت كثير التفكير واصبح رماد زوجها يسمم جسمي وسعادتي . فعرضت عليها ذات يوم ان نسافر الى نيس لتبديل الهواء وكان غرضي من ذلك ابعادها عن ذلك الرماد الملعون . فاظهرت ارتياحها لهذه الفكرة وما مضت أيام حتى سافرنا وتركنا تلك الغرفة السوداء وفي المحطة لحظت بين الحقائب حقيبة صغيرة كانت موجهة اليها عناية خاصة فأردت ان أشحنها مع بقية الحقائب فأبت عليَّ ذلك وقالت دعها فاني احب ان تكون دائما تحت نظري فساورتني الافكار وقلت لابد « انه فيها »

ونزلنا في نيس بفندق مطل على البحر تحدق به حديقة فيحاء تفوح منها رائحة الورد والازهار وتصدح فيها الموسيقى بالانغام الشجية وفي اليوم التالي لما عدنا الى الغرفه رأيت على مائدة الزينة ذلك الحق الذي نغص عيشي مغطى بالازهار فقلت لها امامك احد امرين : اما الحب واما الجنازة والبكاء واني لا احب ان

يكون فراش العرس مفروشاً على القبر

فقالت : انت وقح خشن ! اني لا أحبك . انه كان يألف مرة خير منك.

فقلت لها : أذن عيشي مع رمادك واني انتازل عنك له . ودفعني الغضب فتناولت المسدس عن المائدة ولكنه كان فارغاً فما كان منها الا انها ركعت امامي وتعلقت بي وبكت فطرحت المسدس من يدي

فقالت أحلف اني احبك وحدك وهجمت على مائدة الزينة وخطفت الخق وكسرته وذرت رماده في المغسلة وقالت . وهل تصدق الآن اني احبك وحدك؟

فقلت في نفسي هذا نفس ما سيصيب رماد جسمي ثم قلت : أيتها السماء ان اسمكن الضعف كما قال شكسبير

وعليه فاني تغلبت على خصمي ومزاجي ومع ذلك فان الحب لم يعد لقلبينا فانها ندمت على خيانتها لزوجها وتسلط عليها هذا الفكر فكانت تعذب نفسها وتعذبني معها . ثم عدنا الى قصرنا وكنا كأننا ترملنا وبعد ما دخلنا القصر اسرعت زوجتي الى غرفة الحداد حيث ركعت امام العمود وبكت وناحت واتهمتني بأني كنت السبب في خيانتها وقالت انك كالشيطان اشتريت جسمي و . . . أنت . . .

فقلت لها : اخرسي! اهل تريدين ان تضعي رمادي في حق ان ذلك لا يكون لك أبداً وقمت من ساعتي ووضعت ملابسي في حقيبتي وخرجت من منزلها لا ألوي على شيء. ولم أعد وهي لم تدعني اليها وأخذت منها بعد ذلك خطاباً تدعوني به الى الطلاق لأنها تريد أن تتزوج فقلت انه يتزوج من امرأة جميلة ويتولى على قصرها ولكن بدون حق رماد ورجعت اني كنت واسطة لنيله هذه السعادة

(معربة عن مجلة روسيا المصورة)